حول كتاب « جندي مع العرب » للجنرال كلوب

حقائق ... واكاذيب !

بقلم محمد توفيق حسين

نكبة فلسطين قضية تاريخية فاجعة الاحداث ، متعددة النواحي ،غامضة التفاصيل . هيأت لها دول عديدة ، وخاضت غمار الحرب فيها جيوش عديدة ، وحمل مسؤوليتها اشخاص كثيرون . وعلى الرغم من انقضاء عشرة اعوام على هذه النكبة فما زال كثير من حقائقها مجهولا ، وما زال سر كثير من احداثها مكتوما في صدور الرجال ، مصونا في مخفي الاضابير. والكثير مما نشر عن اسرار هذه القضية مشوب بالدعايات المضللة ، والاتهامات المغرضة ، والدفاع عن النفس . وليس بامكان المؤرخ المنصف ان يقول كلمة الحق في هذه القضية حتى يمسك بخيوطها جميعا .وكتاب « جندي مع العرب » (1) الذي ألفه باللغة الانكليزية الجنرال غلوب ، على ما فيه من دعاوى باطلة وافكار خاطئة ، من الوثائق المهمة التي تكشف عن موقف الاردن ، حكاما وجيشا ، من قضية فلسطين عامة ،ومن حرب فلسطين خاصة .

وصف الجنرال غلوب في كتابه نشوء الجيش الاردني ونموه وقوته وتسليحه ، والمعارك التي خاضها في حرب فلسطين . وبين موقف الملك عبدالله ، والحكومات الاردنية المتعاقبة ، وموقفه هو ، من الاحداث التي ادت الى قيام اسرائيل . وحلل الاحداث السياسية التي المت بالاردن ، وبالعالم العربي ، منذ نهاية حرب فلسطين الى ان ابعد عن الاردن سنة ٩٥٦ . و « جندي مع العرب » كتاب ضخم لا يمكن عرض كل القضايا التي يتناولها في مقال موجز ، ولهذا سأقتصر على مناقشة بعض القضايا المهمة التي تلقي ضوءا على جوانب حرب فلسطين ، وتوضح اسلوب الجنرال في فهم الحوادث التاريخية ، وعرضها ، وتحليلها . سأتكلم في هذا المقال عن نشوء الجيش الاردني ، ومعركة القدس،ومسؤولية بريطانية في حرب فلسطين ، وعن التخلي لليهود عن اللد والرملة .

قدم جون باغوت غلوب الى العراق ١٩٢٠ ، ضابطا نظاميا في الجيش البريطاني . وفي سنة ١٩٢٦ ترك الخدمة في الجيش البريطاني واصبح ضابطا في القوات العراقية . وكانت مهمته القضاء على ثورات العشائر، واخضاع القبائل المتمردة ، وقمع الغزوات التي كانت تشنها بعض القبائل بعضها على بعض . وفي سنة ١٩٣٠ ترك غلوب العراق والتحق بخدمة الحكومة الاردنية حيث اصبح آمرا لقوة البادية . وقد تمكن ،خلال مدة قصيرة ، من اخضاع العشائر المتمردة ، وكسب ولائها للحكومة الاردنية . وفي نيسان ١٩٣٩ عهدت اليه قيادة « الفرقة العربية » او ما يسمى غالبا بالجيش العربي الاردني . وظل في منصبه هذا حتى عزل وأبعد عن الاردن سنة ١٩٥٦ (٢٦) (٢)

كان الجيش الاردني ، عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ ، يتألف من ١٣٥٠ جنديا ، كان الف منهم يؤلفون قوة الشرطة ،اما الباقون فكانوا منظمين تنظيما شبه عسكري ، مهمتهم منع تسرب الثوار الفلسطينيين الى شرق الاردن . (ص ٤١) واشترك الجيش الاردني ،مع الجيش البريطاني ، في القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق في ايار ١٩٤١ . واشترك ، مع الجيش البريطاني الذي كانت تسانده قوة صغيرة من قوات فرنسا الحرة ، في احتلال سوريا من ٨ حزيران الى ١١ تموز ١٩٤١ . وقد اهتمت الحكومة البريطانية بهذا الجيش الصغير ، بعد ان لمست مقدرته الحربية في حرب العراق وسوريا ، فاوصت الملك عبدالله ان يزيد عدد جنوده ، وان يتوسع في تسليحه . وكانت مهمة الجيش الاردني ، خلال سنوات الحرب العالمية ، القيام بغارات صاعقة على خطوط الجيش الالماني في الصحراء الغربية بأفريقيا. واصبحت مهمته ، بعد هزيمة الالمان في العلمين ، المحافظة على خطوط تموين الحلفاء الممتدة من حيفا الى بغداد الى ايران . وبعد انتهاء الحرب العالمية بقيت قوات من هذا الجيش في فلسطين لمساعدة الحكومة البريطانية . كان الجيش الاردني ينمو خلال الحرب حتى اصبح عدده في السنة الاخيرة منها ٨٠٠٠ جندي . وكان يتبعه قوة من الشرطة المدنية يبلغ عدد افرادها الفين . وكان الجنرال غلوب ، الى جانب قيادته لقوات الجيش والشرطة ، مسؤولا بصورة مباشرة عن البادية وقبائلها ، كما كان يقوم بوظيفة ضابط ارتباط مع الحكومة السعودية (ص ٤١ – ٤٨)ولكن سياسة الاقتصاد في النفقات ، التي اتبعتها بريطانيا بعد الحرب ، ادت الى خفض قوة الجيش الاردني في فلسطين فاصبح عدده ، سنة ١٩٤٨ ، حوالي ٦٠٠٠ جندي (ص ٣٣٦) ولولا ان بريطانيا كانت بحاجة الى الجيش الاردني في فلسطين بعد الحرب العالمية ،حيث كان يحرس مخازن الذخيرة والمواقع العسكرية المهمة ، لخفضت عدده الى اقل من هذا . يتبين من هذا العرض الموجز لتاريخ الجيش الاردني ، قبل حرب فلسطين ، انه لم يكن جيشا لدولة عربية مستقلة ، وانما كان فرقة تابعة للجيش البريطاني . ومن هنا تسميته « بالفرقة العربية » باللغة الانكليزية ، تمييزا له عن بقية فرق الجيش البريطاني . وكانت الحكومة البريطانية تتحمل ميزانية الجيش ، لما كانت تمده بالذخيرة والعتاد من مخازن جيوشها ، وكان الضباط البريطانيون ، المعارة خدماتهم من الجيش البريطاني ، يشغلون المناصب القيادية المهمة فيه (٣) . هذه حقائق مهمة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار عند البحث في موقف الجيش الاردني من المعارك التي دارت في حرب فلسطين . يشهد غلوب ان الجنود الاردنيين كانوا متحمسين للحرب ، يلحون في الدخول الى المعارك . ولكن

---

(1) Sir John Bagot Glubl, A Soldier with the Arabs, London 1957

(٢) الارقام الموضوعة بين حاصدتين تشير الى رقم الصفحات في الاصل الانكليزي

(٣) امرت الحكومة البريطانية ، بعد قيام الحرب بين العرب واليهود ، بسحب جميع الضباط البريطانيين المعارة خدماتهم للجيش الاردني (ص ١٣٣)

الجنرال غلوب كان مهتما بالمحافظة على سلامة الجيش اكثر من اهتمامه بانقاذ فلسطين من اليهود ، وحماية سكانها من مجازرهم .

كان عدد الجيش الاردني ، عشية حرب فلسطين ، ٦٠٠٠ جندي (٤) ،ما عدا قوات الشرطة المدنية ، كان بالامكان انزال ٤٥٠٠ منهم الى ساحة القتال (ص ٨٤) ولكن الجيش الاردني لم يكن مستعدا لدخول الحرب في فلسطين . فلم تكن لديه طيارات (ص ١٣٢) ، وكان ينقصه العتاد والسلاح الثقيل (ص ٩١ ، ١٣١) وكان كل ما لديه من عتاد المدافع ، ومدافع الهاون ، لا يكفي الا لمعركة واحدة . (٩٢) ويعود سبب ذلك الى ان الجيش الاردني لم يكن يملك مخازن للعتاد ، وانما كان يعتمد في تموينه على مخازن الجيش البريطاني .

يقول الجنرال : اننا ، حتى اذار ١٩٤٨ ، لم نكن نتوقع ان تقوم حرب بين العرب واليهود بعد اعلان التقسيم ، ولهذا لم نستعد . فلما اصبحت الحرب امرا محقق الوقوع طلبت من القائد العام للجيش البريطاني في الشرق الادنى ان يرسل لنا في الحال الى العقبة باخرة محملة بأنواع معينة من العتاد . وقد اجاب القائد العام طلبي . ولكن الباخرة ، ما كادت تغادر خليج السويس حتى قادتها سفينة مصرية وأرجعتها الى الميناء ، حيث انزلت حمولتها ، ونقلت في سيارات شحن تعود للجيش المصري . وحال قرار هيئة الامم المتحدة ، القاضي بمنع ارسال السلاح للطرفين ، دون ارسال اي سلاح للجيش الاردني (ص ٩١ – ٩٢ – ، ٢١٣) ولم تخصص الحكومة الاردنية اي مبلغ من المال في ميزانيتها لتغطية نفقات الحرب . وعندما قال غلوب لرئيس الوزراء توفيق ابو الهدى : انه بحاجة الى مقدار اضافي من المال ، لان نفقة الجيش في حالة الحرب تزيد عن نفقته في وقت السلم ، وانه لا يستطيع دخول الحرب دون الحصول على المال اللازم ، اجابه توفيق ابو الهدى : « ليس عند الحكومة الاردنية مال تعطيك اياه .. وعلى الذين يصرون على دخول الحرب ضد اليهود ان يعطوك ما تحتاج من المال » (ص ٨٢) . على ان عبد الرحمن عزام ،الامين العام لجامعة الدول العربية ، وعد غلوب بأن تدفع له جامعة الدول العربية مبلغ ثلاثة ملايين جنيه ، وسلمه منها ربع مليون جنيه (ص ٨٥) وسدد غلوب بهذا المبلغ بعض نفقات الحرب . ولكن الجامعة العربية ، بعد الهدنة الاولى ، رفضت تسليم بقية المبلغ بحجة ان الحكومة الاردنية لا تؤيد السياسة المصرية تأييدا كافيا (ص ١٧٨)

لا تقتصر مسؤولية بريطانيا في نكبة فلسطين على كونها اعطت اليهود ، بوعد بلفور ، حق الهجرة الى فلسطين ، ولا على كونها استغلت انتدابها على فلسطين فمكنت اليهود من اغتصاب اراضي العرب ،وتثبيت سلطانهم فيها ، ولا على كونها قضت على ثورة العرب في فلسطين من سنة ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ ، وشنت عليهم حرب افناء تركتهم عند انتهاء الانتداب منزوفي القوى ، ان بريطانيا مسؤولة ، مسؤولية مباشرة ، عن تسليم فلسطين لليهود سنة ١٩٤٨ . ويوضح الجنرال غلوب هذه القضية بجلاء وعدالة . عندما فشلت بريطانيا في الوصول الى حل يرضي العرب واليهود احالت القضية الى هيئة الامم المتحدة . وفي التاسع والعشرين من تشرين ١٩٤٧ اصدرت الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين ، واعلنت بريطانيا عن تخليها عن الانتداب ،وقررت سحب قواتها العسكرية من فلسطين في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ . كانت بريطانيا مسؤولة ،بحكم انتدابها على فلسطين ، عن رعاية حق السكان العرب والمحافظة على ارواحهم ومصالحهم . ولكنها لم تقم بواجبها هذا ، وانما سمحت لليهود بتخطي حد التقسيم ، واحتلال الاراضي العربية . اخذ اليهود ، قبيل انتهاء الانتداب ، يلقون بقواتهم لاحتلال القدس بكاملها ، وكانت القوات البريطانية تراقب الغارات التي يشنها اليهود على الاحياء العربية دون ان تحاول التدخل لمنعهم (ص ١٧١) وبينما كان الجيش البريطاني يلح على الجيش الاردني بالانسحاب من فلسطين كان اليهود قد اجتازوا خط التقسيم واحتلوا مساحات واسعة من حصة العرب حتى في المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة الجيش البريطاني (ص ٩٨) ولم يكتف الجيش البريطاني بعدم التدخل لايقاف زحف اليهود على الاراضي العربية ،ولمنع مجازرهم التي اوقعوها في السكان العرب، بل انه اصر على الجيش الاردني ان ينسحب من فلسطين نهائيا . وقد تم انسحاب الجنود الاردنيين من فلسطين ، وعسكروا شرقي نهر الاردن ، في ١٣ ايار ١٩٤٨ وكان انسحاب الجيش الاردني من فلسطين ، قبيل انتهاء الانتداب،ورجوعه اليها بعد انتهاء الانتداب ، مهزلة تاريخية ارادت بها بريطانيا تبرير موقفها ديبلوماسيا امام الصهاينة وامام الامم المتحدة ، واعطاء فرصة لليهود لاحتلال ما يستطيعون احتلاله من فلسطين ، وربما ارادت بها ايضا اظهار الملك عبدالله منقذا لفلسطين . كان المقرر ان ينتهي الانتداب البريطاني في منتصف ليل ١٤ – ١٥ ايار . ولكن الجيش البريطاني انسحب من القدس في صباح يوم ١٤ ايار . وبقيت المدينة دون قوة عسكرية تحميها. واصبح المجال مفتوحا امام اليهود لغزو الاحياء العربية . يقول الجنرال غلوب : ان انسحاب الجيش البريطاني المبكر ، وعدم السماح للجيش الاردني بالبقاء في القدس ، مسؤول عن الدمار الذي نزل بقسم عظيم من القدس ، وعن الارواح العديدة التي ازهقت فيها (١٠٧) واصبح المجاهدون العرب يدافعون ، وحيدين ، عن القدس ضد القوات اليهودية التي تفوقهم عددا وسلاحا . كان اليهود مصممين على احتلال القدس ، متحدين قرار الامم المتحدة ، وكانوا يستخدمون مدافع الهاون ، والسيارات المصفحة ، الى جانب الاسلحة الخفيفة .

عاد الجيش الاردني الى فلسطين في صباح يوم ١٥ ايار . وفي اليوم السابع عشر وصلت كتيبتا المشاة الاولى والثامنة جبل الزيتون ،المشرف على القدس من الناحية الشرقية ، وعسكرتا فيه . ولكن الجنرال غلوب لم يأذن للجنود بالدخول الى القدس . كانت نداءات سكان القدس الملتاعة تتوالى على الملك عبدالله تخبره ان اليهود يقصفون القدس القديمة ، ويتقدمون لاحتلالها . « انقذونا ، انجدونا ، ها هم على باب يافا ،لقد احتلوا الشيخ جراح ، انهم يتسلقون سور المدينة القديمة . انقذونا اغيثونا ! » (ص ١٠٨) . وفي الثامن عشر دخل اليهود القدس القديمة من باب صهيون ، بعد ان نسفوه ، واتصلوا بالحي اليهودي في المدينة. ولم يستطع الملك عبدالله ان يصم اذنيه وقلبه عن استغاثة السكان العرب فطلب من غلوب ان يرسل قوة من الجيش للدفاع عن المدينة القديمة .ولكن غلوب لم يتحرك . وكتب اليه وزير الدفاع يخبره ان الملك يعز على ارسال قوة من الجيش الاردني لمهاجمة اليهود . ولكن غلوب لم يتحرك (ص ١١٠ ، ١٢٧) من هو سيد الجيش : الملك ام غلوب ؟ واخيرا قرر غلوب ان يأمر الجيش الاردني بدخول معركة القدس ، بعد يومين من وصوله جبل الزيتون ، بعد ثمان واربعين ساعة كانت كل لحظة فيها تعني احتلال اليهود لبيت عربي ، واغتصاب قطعة من القدس ، والفتك بمجاهد عربي . كان غلوب يأمل ان يتمكن المجاهدون العرب من حماية

---

(٤) بلغ عدد الجيش الاردني ، سنة ١٩٥٦ ، ٢٣٤٠٠٠ (ص٣٣٦)

القدس وصد هجوم اليهود . فلما ايقن ان المجاهدين العرب سيغلبون قرر دخول المدينة لينقذ نفسه من المسؤلية كما يعترف هو نفسه : « بدا ان المسؤلية كلها تقع على عاتقي وحدي . لقد عارضت الملك والحكومة خلال ثمان واربعين ساعة املا بالحصول على هدنة . ولكن اذا ما حدث وسقطت المدينة القديمة فجأة فسيضيع كل شيء . فلا بد من العمل اذن » ، (ص ١١١) ودخل الجيش الاردني معركة القدس ، يوم ١٩ أيار ، وقاتل الجنود بشجاعة ، وحمية ، وايمان ، فاخرجوا اليهود الذين كانوا قد دخلوا القدس ، وصدوا هجمات اليهود الذين يفوقونهم عددا وعدة ، واحتفظوا بالقدس القديمة بلدا عربيا ، واثبتوا ان الجنود العرب اعظم من اليهود شجاعة ، وارسخ ايمانا ، واقدر على النصر ، عندما يأذن لهم قادتهم بخوض المعركة .

يؤكد الجنرال غلوب ، المرة بعد المرة ، على انه ليس الا موظفا في خدمة الحكومة الاردنية . وان القول بأنه سيد الجيش الاردني ، والحاكم بأمره في البلاد ، ليس الا دعاية خبيثة . على ان الحقائق لا تؤيده ، فهي تشهد على ان غلوب كان سيد الجيش الاردني ، وكان سلطانه هو السلطان الاعلى في البلاد ، وان مارس هذا السلطان بوساطة الوزراء والحاكمين . او لم يعترف هو بأنه تحدى الملك والحكومة ولم يأذن للجيش بدخول معركة القدس الا حين شاء هو ذلك ؟ كان غلوب يقدم نصائحه ومشوراته للملك وللحكومة . ولكن نصائحه تلك لم تكن في الحقيقة الا اوامر لا مرد لها . فهو ينصح الحكومة بقبول التقسيم فتقبل نصيحته ، وهو يشير على الحكومة بعدم الدفاع عن اللد والرملة فتقبل مشورته ، وهو ينصح الاردن بتسليم لواء الجليل لليهود فتنتصح شاكرة . ان تردد الجنرال غلوب يومين كاملين قبل دخول معركة القدس تجعله مسئولا ، بصفة شخصية ، امام التاريخ ، عن اضاعة احياء عربية بكاملها .

يذكر غلوب ، في مواضيع عديدة من كتابه (ص ٧٩ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ٢٢١ ، ٢٥٧) ان الملك عبد الله ، والحكومة الاردنية ، وهو شخصيا ، كانوا يرون قبول التقسيم ، والتفاهم مع اليهود ، وكانوا يشجبون الدخول في حرب ضد اليهود ، ويعتبرون الحرب عملا طائشا ، وعبثا لا فائدة له ، وانهم ان دخلوا الحرب ، بامكانياتهم غير الكافية ، فسيخسرون حتما . ولم تدخل الاردن الحرب الا اضطرارا ، وذلك بعد ان قررت جامعة الدول العربية دخول الحرب ، والا بعد ان استشارت مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا . قابل توفيق ابو الهدى ومعه غلوب (بصفته مترجما على حد قوله!)مستر بيفن ، وشرح له الموقف في فلسطين ، وبين له ان اليهود مستعدون استعدادا عسكريا واداريا تاما ، اما العرب فحالهم فوضى ولا بد ان تؤدي هذه الحال الى احد امرين : اما ان يتمكن اليهود من احتلال فلسطين باجمعها ، واما ان يعود المفتي وينصب نفسه حاكما على القسم العربي من فلسطين . وكلا الامرين في غير صالح بريطانيا والاردن . والحل الصحيح ان تحتل الاردن ، بعد انتهاء الانتداب ، المناطق العربية المتاخمة لحدودها . وقد وافق بيفن على هذه الخطة ، وطلب من ابي الهدى عدم مهاجمة المناطق المعطاة لليهود بحسب قرار التقسيم ، فوعده بذلك . (ص ٦٢ ـ ٦٦) ترى هل كان ابو الهدى هو المسئول العربي الوحيد الذي اخذ موافقة بيفن بدخول الحرب ، واعطاه وعدا بعدم مهاجمة المناطق المعطاة لليهود بقرار التقسيم ؟

من اهم القضايا التي يتناولها غلوب في كتابه هذا قضية احتلال اليهود للد والرملة . ولا يمكن ان يعتبر ما كتبه غلوب عن هذه القضية تاريخا مجردا ، كامل الوقائع ، مستوفى الاسانيد ، وانما هو دفاع عن النفس ، امام محكمة التاريخ ، حشد فيه المؤلف كل ما استطاع حشده من حجج عسكرية وغير عسكرية لتبرئة ذمته . ان التخلي عن اللد والرملة لليهود ، دون مقاومة ، لم يأت نتيجة سياسية مرتجلة املتها ظروف الساعة ، وحتمتها فوضى الموقف العسكري ، وانما كانت نتيجة سياسة مدروسة بامعان . فقد قرر الملك عبد الله ، ورئيس الوزراء ابو الهدى ، بناء على توصية الجنرال غلوب ، عدم الدفاع عن المدينتين العربيتين قبل انتهاء الانتداب ، اي قبل ان تدخل الجيوش العربية الحرب ضد اليهود (ص ١٤٣) . ويشرح غلوب هذه القضية بصراحة فيقول : « بمجرد عبور الجيش الاردني نهر الاردن في الخامس عشر من ايار عينت الحكومة الاردنية حكاما عسكريين في الخليل والقدس ورام الله ونابلس لمواصلة الادارة المدنية . وبحثت هذه التعيينات مع رئيس الوزراء . وعندما سألته عن ترتيبات اللد والرملة اجابني توفيق باشا : قررنا اننا لا نستطيع الاحتفاظ باللد والرملة . واذا ما عينا لهما حاكما عسكريا ثم احتلهما اليهود فسوف يبدو ذلك سيئا . ولذلك لم يعين لهما حاكم . وقد بقي هذان البلدان خلال شهر من القتال دون حكومة . وتفرق رجال الشرطة . (ص ١٤٣ ، وص ١٢٢ من ترجمة دار العلم) ولكن غلوب لم ينس ان يحتاط للمستقبل . فقد نصح رئيس الوزراء بان يرسل قوة رمزية من الجيش الاردني الى اللد والرملة ، قبل ابتداء الهدنة ، حتى يحق للاردن

ـ التتمة على الصفحة ٩٣ ـ

حقائق ... واكاذيب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٠ ـ

ان تطالب بهما فيما بعد . (ص ١٤٣) وبناء على ذلك اقترحت على رئيس الوزراء ان ترسل قوة رمزية الى الرملة قبل ان تبدأ الهدنة باربع وعشرين ساعة . ذلك انه اذا ما بدأت الهدنة فقد تحظر التحركات العسكرية . ولو ذهبت هذه القوة الى الرملة قبل الهدنة فاننا نستطيع ان نعيد تنظيم الحرس والادارة حالما يتوقف القتال . ووافق رئيس الوزراء ، الا انه لم يرسل حاكما . وفي التاسع من حزيران تحركت شلة المشاة المستقلة الخامسة ـ وهي لا تكاد تتجاوز المئة ـ نحو الرملة . (ص ١٤٣ ، ١٢٢ ت . دار العلم) معنى اقتراح غلوب ان اللد والرملة اذا استطاعتا ان تدافعا عن نفسيهما ، وتسلما الى وقت الهدنة ، فلا بأس ان لم تضما الى الاردن التي لم ترد ان تطلق في سبيل الدفاع عنهما طلقة واحدة . قد يقال : ولكن الاردن قررت ان تتحمل مسئولية الدفاع عنها فيما بعد الهدنة . فنقول : ان الاردن ، عندما قررت ضم هاتين المدينتين العربيتين ، كانت تقدر انها لن تضطر للدفاع عنهما . والدليل على ذلك ان الحكومة الاردنية كانت واثقة ، كما يؤكد غلوب في مواضع عديدة (ص ١٤٥) ، بان الهدنة ستكون الخاتمة النهائية للخلاف بين العرب واليهود ، وان الحرب لن تتجدد بعدها ابدا . بقيت اللد والرملة ، طوال الشهر الاول من القتال ، دون حكومة تديرهما ، ولا شرطة تشرف على شئونهما ، ولا جيش نظامي يدفع عنهما غارات اليهود . وانما كان يحميهما سكانهما وعدد من الجنود العرب غير النظاميين (ص ١٥٧) ان مسؤولية غلوب ، والحكومة الاردنية ، في اضاعة اللد والرملة تبدأ من هنا ، من يوم ان قرروا عدم الدفاع عنهما . فقد اضاعوا شهرا كاملا دون ان يقوموا بأدنى مجهود لتنظيم سكان المدينتين ، وتسليحهم ، وتدريبهم على اساليب الدفاع . لقد اثبتت الوقائع ، خلال غارات اليهود على المواقع الامامية في الاردن بعد الحرب ، ان بامكان سكان القرى ، يقودهم ويعاونهم بعض الجنود النظاميين ، ان يصدوا هجمات اليهود المركزة .

امدت الاردن اللد والرملة ، بعد ان قررت ضمهما ، ببعض وسائل الدفاع ... « وبذلنا كل ما في وسعنا لتقوية اللد والرملة . فارسلنا الى هناك عدة مئات من رجال العشائر الاردنيين مسلحين ببنادق قديمة كانت للجيش العربي. ولم يكن يوجد اي رئيس لا في اللد ولا في الرمله. كما ارسلنا الى اهالي المدينتين كل ما توفر لدينا من السلاح الاضافي. ولكن بالرغم من ذلك فقد كنا نخشى سقوط هاتين المدينتين فيما اذا تعرضتا لهجوم جدي » (ص ١٥٨ ، ١٣٤ ت . دار العلم) ولكن ما ان تجدد القتال بعد الهدنة الاولى حتى قرر غلوب ، ومعه بطبيعة الحال الحكومة الاردنية ، عدم الدفاع عن هاتين المدينتين . ما هي الحجج التي استند عليها غلوب في عدم الدفاع عنهما ؟ يقول : ان اللد والرملة واقعتان في السهل ، وان جازف فوج من قوات شرق الاردن بالنزول الى السهل فسوف تحدق به قوات العدو من جميع الجهات . واذا ما نجح في رد هجمات العدو عليه فان خطوط مواصلاته عبر الصحراء ستنقطع » (ص ١٤٤)

ويقول في موضع آخر (ص ١٥٧ ، و ص ١٣٤ ت . دار العلم)« ... ما دامت المدينتان العربيتان اللد والرملة صامدتين فان الجناح الايمن للجيش العربي في اللطرون كان محميا . كما ان الفجوة بينه وبين الجيش العراقي كانت مسدودة ايضا . وكانت قد وردتنا اشارة بأن القوات الاسرائيلية سوف توجه هجومها هذه المرة على اللد والرملة ، فلو ارسلنا احد الفوجين من اللطرون الى المدينتين لفصل عنا ، وحوصر في الحال خاصة وان مستعمرة « بن شمن » اليهودية تقع غير بعيد عن الطريق ، وعندئذ تحاصر القوات الاسرائيلية اللد والرملة ثم تتجمع ضد الفوج الباقي في اللطرون . هذا وتجدر الاشارة الى ان اللطرون هي مفتاح طريقين هامين : طريق رئيسية تؤدي الى القدس وطريق اخرى فرعية من اللطرون الى رام الله . فلو هزم الاسرائيليون سريتنا في اللطرون اذن لفتحوا امامهم طريق القدس . ليس هذا وحسب بل لكانوا توجهوا توا الى رام الله ، ثم لداروا جنوبا ليطوقوا القدس ، او شمالا الى نابلس وراء الجيش العراقي. وهكذا لكانت النتيجة ان حلت الهزيمة ليس بالجيش العربي وحده ، بل بالجيش العراقي ايضا . كما ان فلسطين كانت فقدت برمتها . ان اللطرون هي مفتاح الجبهة كلها ، فاضعاف حاميتها ضرب من الجنون لا غير » .

توهم كلمة غلوب السابقة ان الجيش الاسرائيلي بأسره سوف يقوم بالهجوم على اللد والرملة ، كما توهم بأن اضعاف حامية اللطرون سيؤدي الى انهيار مواقع الجيش الاردني ، وتطويق الجيش العراقي ، وذهاب فلسطين برمتها . وهذه حجة يكررها غلوب في كل مناسبة تدعوه للدفاع عن نفسه . فهو يتريث في ارسال الجيش الاردني الى القدس بحجة انه يريد المحافظة على الجيش لانقاذ مناطق اخرى من فلسطين ، وهو لا يدافع عن اللد والرمله بحجة انقاذ اللطرون ، وهو يسلم لواء الجليل بقصد انقاذ البقية الباقية من فلسطين . والحقيقة ان الاسرائيليين هاجموا اللد والرملة بجزء من جيشهم فقط. يقول غلوب : ان البلماخ وهو طليعة الجيش الاسرائيلي ، كان يتألف من ٦٥٠٠ رجل ، منظمين في فرقة مؤلفة من ثلاثة الوية. وكانت مهمة هذا الجيش الاستيلاء على اللطرون « ولقد

دار النشر للجامعيين

تقدم

الى الذين يعنون بدراسة الأدب العربي
والى طلابه في لبنان وسوريا .

كتاب

النموذج في البحث الادبي

تأليف

عمر انيس الطباع

ليسانسيه في الآداب

النموذج في البحث الأدبي

اسلوب جديد في الدراسة الادبية عالج بعمق الجوانب الرئيسية من ادب هؤلاء الاعلام

إقرأ فيه

السابغة : شاعر الاعتذار
الجامظ : عالم وأديب
ابن الرومي : شاعر الطبيعة
المتنبي : شاعر فيلسوف
البستاني : الناقد العصامي

٣٠٠ صفحة

كرر الاسرائيليون خلال الشهر الاول من القتال هجماتهم ليلة بعد ليلة على مواقع الجيش العربي في اللطرون دون ان يحرزوا اي نجاح .فكانوا بعد كل كرة يتراجعون تاركين وراءهم المئات من القتلى » (ص ١٥٩ ، ١٣٥ ت دار العلم) لاحظ كلمة « مئات القتلى » هنا فهي نموذج على اسلوب غلوب في المبالغة عندما تكون المبالغة في صالحه . ان جيشا مؤلفا من ٦٥٠٠ رجل لا يحتمل ان يفقد كل يوم مئات القتلى ، مدة شهر كامل ، ثم يدخل الميدان من جديد ويحتل قسم منه اللد والرملة. اما عدد الجيش الاردني في اللطرون ، الذي صد هجمات البلماخ المتكررة ، وكبده في كل هجوم مئات القتلى ، فكان ١٢٠٠ جندي ، اي بنسبة جندي اردني واحد الى كل خمسة جنود يهود (ص ١٥٩) وبعد ان عجز اليهود عن احتلال اللطرون قرروا مهاجمة اللد والرملة . فتوجه لاحتلالهما لواءان من جيش البلماخ ، في اليوم التاسع من تموز ، اي ان الجيش اليهودي المهاجم كان يبلغ ثلثي الجنود الذين كانوا يهاجمون اللطرون ، اي اقل من ٥٠٠ جندي . وقد استطاعت اللثة الصغيرة من الجنود الاردنيين ، التي ارسلها غلوب الى الرملة والتي كانت يوم الهجوم متحصنة في مركز بوليس اللد ، ان تنازل القوات الاسرائيلية المهاجمة ، وترغمها على التراجع ، مدة اربع وعشرين ساعة(١) . (ص ١٥٩) ولكن غلوب قرر ان يسحب هذه القوة الصغيرة بحجة تأمين خطوط الدفاع في مكان اخر . وهرب الجنود الاردنيون من اللد في ليلة ١١ ـ ١٢ تموز، وبسلاحهم الكامل ، ووصلوا الى بيت سيرا سالمين . (ص ١٦٢) وفي صباح يوم ١٢ تموز احتل اليهود اللد والرملة . وقاموا بتفتيش المنازل، وقبضوا على كل الرجال الذين هم في سن الجندية ، وساقوهم الى المعتقلات ثم طافت في جميع الشوارع وحدات من الجيش الاسرائيلي مجهزة بمكبرات الصوت تنذر من بقي من السكان بالرحيل في مدة نصف ساعة . كان اليهود يدخلون المنازل ويخرجون النساء بعنف وقوة ليرهبوهن ويرغموهن على الهرب. وقد ارغم اليهود ، بقسوتهم وارهابهم، ما يزيد على ثلاثين الف شخص ، معظمهم من النساء والشيوخ والاولاد، على الهرب ، وسار اللاجئون متجهين الى اقرب قرية عربية ، حاملين على اكتافهم ما استطاعوا حمله من متاعهم الضئيل واطفالهم . وكم هلك، في تلك المسيرة ، من اطفال !

يلوم الجنرال غلوب الحكومة البريطانيةعلى سحب الجيش البريطاني من القدس ، وعدم سماحها للجيش الاردني بارسال بعض وحداتها اليها، ويلقي عليها تبعة ما اصاب القدس من تخريب ودمار . ومما قال : « ان وجود عدد من الجنود الاردنيين في القدس كان سيقوي معنويات المدافعينعن المدينة ، ويبعثهم على القتال بحمية واطمئنان . »

الا يحق لنا ان نوجه مثل هذا اللوم للجنرال غلوب ، عندما قرر سحب هذه القوة الاردنية الضئيلة من اللد ، وترك المدينة دون حامية ؟ الم يعلم بان وجود هذه الحامية الاردنية يقوي معنويات المدافعين عنها من سكانها ، ويطمئنهم الى ان الحكومة الاردنية لم تنسهم ؟ وما هي الضرورة العسكرية لسحب هذه القوة ؟! ام لعل غلوب كان احرص على جنوده منانقاذ المدينتين بسكانهما ، فلم يرد ان يترك مئة من جنوده يخوضون معركة خاسرة ؟ وتلك الالاف من المجاهدين والشيوخ والنساء والاطفال الم يكونوا بشرا يستحقون ان يحموا من الوقوع بايدي السفاحين من اليهود ؟ يقول الجنرال : انه لم يكن يتوقع ان تنتج عن سقوط اللد والرملة فاجعة بشرية كتلك التي حدثت فعلا .(ص ١٦٤) ان من شاهد مجزرة دير ياسين ومذابح القدس لا يحق له ان يحسن الظن باليهود .

ويقول غلوب : انه لم يستطع ان ينجد اللد والرملة بقسم من القوات الاردنية المرابطة في اللطرون لاهمية هذه المدينة العسكرية . ولكننا نراه، بعد سقوط المدينتين ، يفرق حامية اللطرون ، ويبعث بوحدات منهما شمالا وشرقا لتأمين خطوط تموينه التي هددها سقوط المدينتين . ولم يكن الدفاع عن اللد والرملة اضمن للدفاع عن خطوط التموين واجدر في الابقاء على الاتصال بالجيش العراقي. هذه ملاحظات يثيرها في نفسي الم هذه الفاجعة التاريخية ، ولم ارد ان اناقش بها خطط الجنرال غلوب العسكرية ، فانا لست من اصحاب هذا الفن . ولم ارد ان احمل غلوب مسئولية هذه الفاجعة بكاملها ، فهذه الفاجعة ، كنكبة فلسطين باجمعها ، ليست من عمل شخص واحد . وعندما نسأل من هو المسؤول الحقيقي ؟ يدور على افكارنا فيض من الاسئلة الحائرة التي تطلب جوابا. هل المسؤول عن سقوط اللد والرملة الجنرال غلوب الذي سحب القوات الاردنية من المدينتين بعد ان اوقفت الهجوم اليهودي مدة اربع وعشرين ساعة ، بدل ان يعززها بقوات اخرى ؟ ام هو توفيق ابو الهدى الذي رفض السماح بزيادة عدد الجيش الاردني اثناء الهدنة الاولى بحجة ان القتال لن يتجدد (ص ١٥٨) ؟ ام الجامعة العربية التي رفضت ان تمد حكومة الاردن بالمساعدات المالية التي وعدتها بها فلم تتمكن من تقوية الجيش وزيادة عدده بعد الهدنة الاولى ؟ ام الجيش العراقي ، الذي كان عالما بحقيقة الحالة العسكرية في المدينتين لانه كان يتبادل المعلومات مع الجيش الاردني ؟ لماذا لم ينجد الجيش العراقي هاتين المدينتين ولو بجزء صغير من قواته الضخمة البالغ عددها في فلسطين يومئذ ١٩٠٠٠ جندي ، على الاقل لحماية جناحه الايسر من اليهود ولضمان اتصاله بالجيش العربي في اللطرون ؟ ام ان الحكومة العراقية هي المسؤولة بعدم اذنها للجيش بانجاد المدينتين ؟

ام الدول العربية جميعا هي المسؤولة حين استأنفت القتال مرغمة بعد الهدنة الاولى ، لكي تحافظ على سمعتها بين شعوبها ، دون ان تكون لها نية مصممة على القتال ؟(ص ١٥٠) . اغلب ظني ان هؤلاء جميعهم كانوا المسئولين عن ضياع هاتين المدينتين العربيتين المجاهلتين، وتشريد اكثر من ثلاثين الف انسان عربي ، مسؤوليات متفاوتة الدرجات ، نرجو ان يكشف عنها ما عسى ان ينشر في المستقبل من وثائق .

ان نقطةالضعف في الجنرال غلوب هي انه، مثل جميع بناة الامبراطورية لم يستطع ، او لم يرد ، ان يفهم معنى هذا الوعي القومي المتعاظم في العالم العربي عامة ، وفي الاردن خاصة . لم يستطع ان يدرك اصالة

صدر حديثا :

الرواية التي سجلت ارقاما قياسية بالمبيع في فرنسا وامريكا

المسير الطويل

قصة حفنة من الابطال مع فتاة ضائعة اجتازوا الاف الاميال دون ماء او طعام هربا من العبودية ، وسعيا وراء الحرية ...

تأليف : سلافومير رافتش

ترجمة : جورج سلهب

من كتب : دار العالم العربي . بيروت

(١) لم يكن الجنود الاردنيون وحدهم هم الذين صمدوا لليهود .فقد دافع عن المدنيةالمجاهدون الفلسطينيون،بينما فر منالقتال البدو الذين ارسلهم غلوب

الحركات الوطنية في العالم العربي التي تستهدف التحرر التام ، والعدالة الاجتماعية ، والرخاء المادي والروحي ، والوحدة . لم يستطع الجنرال غلوب ، او لم يرد ، ان يفهم الحركات الوطنية التحررية في العالم العربي لانه كان يحلم ان يظل قائد جيش من ابناء العشائر ، يخدم الامبراطورية البريطانية، في بلد راكد السياسة ، بعيد عن العمران. وقد ايقظته الحركات الوطنية من حلمه هذا الجميل ، لتسلمه الى واقع الامبراطورية المهلهل ، المضطرب ، البائس ومن هنا كان تحليله لمشاكل الاردن ، والعالم العربي ، بعد نكبة فلسطين ، تحليلا ضحلا اشبه باللغو الصحفي منه بالتفكير العلمي المسؤول . ومن هنا ايضا كان حقده ، الذي يظهر في معظم صفحات كتابه ، على مصر وسوريا ، وقادتهما الوطنيين ، وعلى المثقفين العرب الذين يحملون مشعل التنوير والوعي الوطني امام جمهور الشعب .

ولكن الجنرال غلوب ، على الرغم من فهمه الخاطيء المغرض للحركات الوطنية في العالم العربي ، وعلى الرغم من عدائه السافر لقادة القومية العربية المتحررة ، قد ادي للقضية الفلسطينة خدمة مشكورة . لقد بين، بادلة قوية واضحة ، ان الصهيونية حركة عدوانية لا سند لها من التاريخ والاخلاق والحق . وفضح مؤامرات اليهود وخدعهم ، ومنظماتهم العسكرية والسياسية واساليبها في العمل ، والجهات التي تمدها بالمال والسلاح . وذكر ارهابهم الوحشي الذي ارغم الفلسطينيين على هجر بيوتهم وقراهم . وعدد هجماتهم على حدود الاردن ومصر وسوريا ، وفضح مقاصدهم منها . وصور مأساة اللاجئين في صفحات مؤثرة تبعث اقسى القلوب تحجرا على الشعور بمرارة الفاجعة ، وبشاعة الجريمة . وقد تبدو هذه القضايا من البديهيات المسلمة في العالم العربي ، ولكنها ليست كذلك في الغرب حيث تسيطر الدعاية الصهيونية على مصادر الاخبار ، وتصور العرب جهلة متخلفين ، همهم العدوان على دولة اسرائيل المحبة للسلام والانسانية والتقدم

*

وقد صدر في بيروت حديثا ترجمتان عربيتان لهذا الكتاب . اصدرت الاولى دار العلم للملايين بعنوان « جندي بين العرب » ، واصدرت الثانية دار النشر للجامعيين بعنوان « جندي مع العرب » ، وقام بالترجمة السيد عفيف حسن الصمدي. والترجمتان تنقصان عن الاصل كثيرا . يبلغ عدد كلمات الاصل نحو ١٩٠،٠٠٠ كلمة ، بينما يبلغ عدد كلمات ترجمة دار العلم نحو ٩٣،٠٠٠ كلمة ، اي نحو نصف الاصل ، وترجمة الصمدي نحو ٦٧،٠٠٠ اي نحو ثلث الاصل . وقد اشارت طبعة دار العلم الى مواطن الحذف بعدة نقاط ، ولم تشر الى ذلك الطبعة الاخرى. وحجة دار العلم على حذف اقسام ومقاطع من الكتاب انها رأت فيها « ما يمس المصلحة العربية القومية مسا قويا . » ويضيف السيد عفيف الصمدي الى هذه الحجة قوله انه اختصر بعض مقاطع الكتاب ، وبعض الفقرات المكررة التي لا غنى عنها للقاريء الاجنبي بينما هي معروفة عند القاريء العربي .

على ان الناشرين ، على ضعف الحجج التي استندا عليها لتبرير حذفهما لاقسام كبيرة من الكتاب والتي لا تقرها المناهج العلمية ولا مصلحة القاريء، لم يقتصرا على حذف الفقرات » «التي تخالف المصلحة القومية » فقط،بل حذفا فقرات لا تمت الى المصلحة القومية بصلة . واليك بعض الامثلة من ترجمة دار العلم . حذفت فقرات على ص ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٠ من الاصل يصف فيها المؤلف شجاعة الجنود الاردنيين وحسن بلائهم في القتال ضد اليهود . وحذفت فقرة على ص ١٩٠ يذكر فيها المؤلف انشاء حكومة عموم فلسطين ، وفقرات على ص ١٩١ و ١٩٣ و١٩٥ – ١٩٦ يذكر فيها المؤلف ان اليهود كانوا يتلقون المساعدات من الدول الشيوعية . وحذفت فقرة ص ٢١٣ يذكر فيها المؤلف برقية شكر بعث بها بن غوريون الى ستالين ويقول فيها : ان الشعب الاسرائيلي لن ينسى المساعدة والتأييد اللتين قدمتهما له روسيا عام ١٩٤٨ .وحذفت فقرة ص ٢١٦ – ٢١٧ يذكر المؤلف ضم الضفة الغربية الى الاردن ، وموقف الدول العربية من هذه القضية ، وانتقال حكومة عموم فلسطين الى القاهرة ورفضها الاعتراف بالمملكة الهاشمية الاردنية .

والجنرال غلوب كاتب يتقن فن الكتابة . عبارته بسيطة ، دقيقة ، محدودة، تبلغ احيانا مرتبة النثر الجميل . وهو يجيد وصف المشاهد وخاصة المعارك الحربية حتى ليخيل للقاريء انه يشاهدها بعينيه ، ويسمع ضوضاءها باذنيه، على ان اسلوبه لا يخلو من تكرار وسطحية وثرثرة وخاصة عندما يحاول ان يفلسف الاحداث ويستخلص النظريات والنتائج الكلية من الامور الجزئية المتفرقة . وقد ادت ترجمة دار العلم معاني المؤلف بامانة ودقة ، الا انها لم تسلم من اخطاء كان بامكان دار العلم ، وهي التي التزمت الاتقان فيما تنشر ، ان تتجنبها . (انظر مثلا ص ٨٣ ، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ١٢٢، ١٣٣، ١٠١ . ويقابلها في النص الانكليزي على التوالي ص ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١٤٣، ١٥٧ ، ١٦٨)

اما ترجمة دار النشر للجامعيين فتعوزها الدقة،وتكثر فيها الاخطاء حتى لتكاد ان لا تخلو منها صفحة . وقد ارفق المؤلف بكتابة نحو ثلاثين خارطة، تبين المعارك المهمة ، والنقاط العسكرية ، وتحركات الجيوش . ولم تنشر طبعة دار العلم شيئا منها ، بينما نشر طبعة دار النشر صورة عشر منها باصلها الانكليزي دون ترجمة .

محمد توفيق حسين